"الاغتراب الاجتماعى فى شعر الطغرائي"

إعداد الباحث

وليد سليم عبد الرحمن عبد النبي

إن الأدب " تعبير عن المجتمع وبالتالى ، فالمجتمع هو الذى يشكل العمل الفنى ويحدد قيمته ، ونحن مع إيماننا الكامل بأن المجتمع جزء لا يتجزأ من الوجود الذى هو موضوع الأدب والفن بعامة إلا أن الأديب هو الذى يرى الوجود من خلال ذاته ، يحاول إداركه وتفسيره والتعبير عنه "[1].

والوجود هنا هو الوجود بكل نواحيه طبيعية أو اجتماعية أو نفسية أو فكرية ، فموقف الشاعر من المجتمع وكذلك رؤيته يتشكلان عن طريق منظارة الخاص الذى يتحكم فيه تكوينه النفسى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى وغيرها وهذا يعنى أن تفاعله مع المجتمع أو الإنفصال والتمرد عليه ورفضه والخروج عن دائرته لا يكون للمجتمع بقدر ما يكون رفضاً لعاداته وتقاليده وقيمه السائدة ومن هنا يكون الشاعر قد اغترب عن المجتمع وقيمه ، وذلك لأن الاغتراب هو " شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع ، كالشعور بالانفصال عن الآخرين ، أوعن القيم والأعراف والعادات السائدة فى المجتمع أو عن السلطة السياسية الحاكمة "[2].

١) **<u>الاغتراب عن الناس :</u>**

لقد ساعدت الظروف السياسية القلقة فى فترة الحكم السلحوقى والتنازع على الحكم وما تبعه من تنازغ آخر على الوزارة إلى ظهور نوع آخر من أنواع الاغتراب وهو " الاغتراب الاجتماعى ".

وقد تمثلت هذه الغربة عند الطغرائى فى غربة الناس ، فالظروف السياسية الحرجة التى مرت بها الدولة السلجوقية فى تلك الحقبة الزمنية كان لها عظيم الأثر على شخصية الشاعر ، فقد

[1] محمد ذكى العشماوى : قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية ، (د ،ط) ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢-٢٣.
[2] سميرة سلامى : الإغتراب فى الشعر العباسى القرن الرابع الهجرى ، ص١٥١.

أجبر الطغرائى على الرحيل فكان من نتائجه التعرف على مجتمعات مختلفة ، وعلى أناس مختلفين فى عاداتهم وتقاليدهم ، ويختلفون فى غدرهم ووفائهم.

فالطغرائى " قد تملكت الحيرة قلبه وملأه الضيق ، وتفلتت من نفسه كل محاولة للتجلد والثبات ، وماذا عساه أن يفعل إذاء أناس أَلِفت الدسائس ، واستسهلت الكذب ، حتى تمكنت من حطة عن مكانته ، ومن تجريده من بعض ما هو أهلُ له فى الحياة لتتفرد هى به ، وليس أهلاً له ! .... لقد لجأ الشاعر إلى مدينة الشعر ، فاستودعها آلامه وأحزانه ، وجعل تمزقه النفسي ينساب شعراً "[1].

وفى العصر السلجوقى كثرت الشكوى ، ووجدت مكانها على ألسنة الكثيرين ، وخاصة الشعراء وأعربت عن حالة من قلق نفسى ، متولد من اضطراب سياسى وفكرى واجتماعى ، وهو ما رصده أحد الباحثين بقوله : << ظهرت الشكوى بين الشعراء منذ أوائل عصر السلاجقة بتعقد المجتمع ، والشاعر منه بخاصة ، فالمتناقضات تقلقهم ، والدهر يحاربهم ، والحظ يعاكسهم ، ومتحكمون ليسوا بذوى تفهم للعلوم والآداب ، حيث يسيطرون على مقاليد الأمور>>[2].

ولم يقتصر الأمر على مجرد الاضطراب السياسى ، فكانت هناك المذهبية المتعادية فالدولة السلجوقية " سنية " والمنازعات الدينية كانت كثيرة بين الفرق الإسلامية المختلفة ، وقد أثرت هذه الحالة فى حياة الناس الدينية ، فراج التعصب ، وانتشرت الخرافات وازداد الميل إلى العزلة والانزواء ، والاعتكاف "[3].

فمثل هذا الحال تدعو إلى التضجر والتأذم ثم الشكوى ومن هنا وجدنا الطغرائى – بنفس متألمة – يشكو الزمان القلب والدهر الغشوم، ذلك الذى أتى بساسة لا يقدرون الرجال قدرهم

[1] الشوادفى علام : الطغرائى إحساس بالتفرد ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، العدد ٢٢ ، ص ٨٥٩.
[2] محمد التونجى : حول الأدب فى العصر السلجوقى ، مكتبة قورنيا ، ص.ب ٩٥٥ ، بنغازى ، شارع عمر المختار ، ص ١٥٨.
[3] عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ص ١٤٨.

فيصدرون الطامحين إلى المعالى عن أهلية لها واستحقاق ، ويبيحون طرقها – عن جهل – للأراذل ، فيشكو من انقلاب الموازين التى تجعل المعالى تهيئ لمن ليسوا لها بأهل وهو اضطراب يحدث غضة تؤدى إلى حالة من الغربة النفسية والمجتمعية ، ويشتد ذلك عند أصحاب النفوس الأدبية ، والهمم العالية[1] .

وهو وإن أضفنا إلى كل ذلك بأنه صدم فى أول عهده بالانتقال إلى " إربل " تاركاً وطنه " أصفهان " فى مقتبل شبابه ومن ثم " بغداد والموصل "[2] ، ولم يدم له عزه " فقد بدأ المناوئون يسعون به ، واشتدت عليه السعايات ، فحُدَّ نفوذه وكفّ جاهه وهمّ بالاعتزال ، فثقلت عليه الإقامة ببغداد "[3].

فأول غربة شعر بها الطغرائى من الناس أو الأفراد انعدام " الوفاء والآمان " ، فكان الطغرائى يشعر بأن جميع المحيطين به ما هم إلا أعداء له يريدون التنكيل والإطاحة به ، هذا الشعور جعله يفتقر إلى الوفاء والآمان اللذين يسعى إليهما كل إنسان إن كان فى بلاد الغربة أو فى وطنه.

لكن الأمر يختلف عند الطغرائى الذى كان غريباً عن تلك البلاد ، ولذلك كانت حاجته إلى الوفاء والأمن من الضروريات التى تساعده على التكيف والاستقرار واستمرار الحياة فى تلك البلاد ، ولكن انعدامها كان له أثر سلبى على شخصية الطغرائى ، فالأحساس بالغربة بين أناس تتفق معهم فى عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم إحساس يبعث على المرارة والحزن.

لقد ألَم الطغرائى ما وصل إليه الآخرون من زيف ، فلقد ضاعت العلاقة الإيجابية بين الناس وفُقدت المعانى النبيلة وارتفع صوت المال ليصبح هو القوة العظمى وضاعت الصداقة

[1] ينظر – الشوادفى محمد علام : الطغرائى إحساس التفرد ، ص ٨٥٩-٨٦٠.
[2] مها سعيد حميد : وزير الموصل مؤيد الدين الطغرائى ، ص ١٨٢-١٨٣.
[3] على جواد الطاهر : الطغرائى ، حياته – سفره – لاميته ، منشورات مكتبة النهضة ببغداد ، ط١ ، ص ٣٠-٣١.

والمحبة والوفاء وغيرها من المعانى النبيلة بين الناس ، ولكن الشاعر من ذوى النفوس الأصيلة فرفض ما عليه الآخرون من كذب ونفاق ورياء وآلمه ما وصل إليه الناس والأصدقاء من حوله الذين تخلوا عنه فى محنته وعزله من منصبه ، فلقد آثار عزله تنكر الناس من حوله فشعر بانفصال حاد واغتراب قاس عن جميع الناس ، وافتقد التضامن مع الآخرين لنفوسهم المريضة بمرض البغى والريبة والنميمة والجحود والحسد ، ويبدو تشاؤمه واغترابه فى غنائية تمس أوتار القلوب وفى غير قليل من الصدق العاطفى استخدم فيها الشاعر أسلوب " المنولوج " الداخلى فى مشهد رائع يغلب عليه المنطق واستخدم الحجج العقلية للسرد على من يتساءل ، فقد تعجب الناس من صبره وحلمه واحتماله من أعدائه وحساده وهم يندفعون بطريقة همجية عمياء فى التحريض والتشكيك فى قدراته الشعرية ، فلماذا إذا هذا الحلم ؟! ، وإلى أى مدى سيدوم ؟! ، ألم يحن بعد الإنتقام ؟ لقد بلغ الأعداء الجد وطغوا فى سفههم ضده – إذا أخذنا فى الاعتبار أن الطغرائى فى وضع سياسى الآن يسمح بالانتقام. فلماذا إذا لا ينتقم ؟!.

[البسيط]

قالوا : صبِرتَ على المكروهِ من نَفَرٍ *** لو شئتَ حكَّمْتَ فيهم كفَّ مُنْتَصِرِ
تعدوا عليكَ رجالُ لو هممت بهِم *** صاروا فرائسَ بين النابِ والظَّفُرِ
تُغْضِي إلى أنْ يقالَ العجزُ ألزَمُه *** ذُلاً وتصبرُ حتى لاتَ مصطَبَرِ
حتامَ تحلمِ منهم غيرَ منتقمٍ *** والحْلِمُ ينزعُ أحياناً إلى الَخَورِ
وَهْبُهُم الماءَ موّاراً على حَجَرٍ *** والماءُ ينقرُ فى صَلْدٍ من الحجرِ

وواضح أن اللوم والإنكار هنا هما من النفس للنفس ، فالشعور بخيبة الأمل يكون عظيم الخطر ، قوى الأثر لدى من يتحسسون فى أنفسهم تميزاً أو تفرداً لم يتفهمه المجتمع – شأن

الطغرائى – إذ يُخلفِ فى النفس حيرة لاتنفك عنها ويترك ويترك فيها ندوباً على الأيام لا يندمل أثرها ومما يترجم هذا الذى نرمى إلى تقريره أن شاعرنا هنا يستخدم أسلوباً شعرياً ، يصور تملماً واضطراباً نفسياً كان من وراءه هذه التساؤلات الكثيرة ولعلنا إذا وقفنا ونظرنا فى التساؤل الوارد فى قوله (حتام تحلم ؟!) يجعلنا نقف على بعض هذا التمللمل لأنه يرسم الشاعر وقد فقد – بأثر الشعور بخيبة الأمل – القدرة على التحمل وقد يكون إعلان عن الحسرة والضيف والتأزم ، وهو يشى لنا بحالة الاضطراب والتململ ، فلقد أبان من طرف خفى أن نفسه لم تعد تطيق وتحتمل هذا العداء وقد اتخذ منه مطية لاستخدام الحجج العقلية فى الرد على المنتقدين وهو ما سوف يظهره فى المقطع الثانى. والذى تظهر فيه فلسفة الظغرائى وحكمته فى استخدامه الحجج العقلية والبراهين كوسيلة لتوصيل الفكرة واقناع المتلقى بحلمه واحتماله من الأعداء والحساد فهم كالكلاب التى تعوى والقافلة تسير لا تأثير لهم عليه فالحسد كالنار التى تأكل نفسها وهو يربأ بنفسه أن يدخل فى تراشحات لا تؤدى إلا إلى الهلاك كالنار المنطفئة من الماء فكلاهما فان لذلك يواصل القول :–

فقلت: أنَّهُمُ عندى وكيْدهَمُ *** كالكلبِ إذ باتَ يعوِى صفحةَ القمرِ
إنّى أَبتْ لىَ أخـلاُقُ مهذَّبةٌ *** أنْ أُسْلَمِ الحْلمَ بينَ الْحِقدِ وَ الضَّجَرِ
بالرِفقِ أبلُغُ مَا أهواهُ من أَرَبٍ *** وصاحبُ الخُرْقِ محمولُ علَى خَطرِ
والسمُّ يبلغ فى رفْقٍ مكيَدتُه *** ما ليس يبلـغُ كـيدَا الصابِ والصَّبرِ
والِحْقدُ كالنارِ فى الزندينِ إنْ تُركا *** تكُمنْ وإن أغرِيـا بالَقْدحِ تسَتعِر
وربمـا أَتلـفَ الضِّداَنِ فاعتدَلا *** والماءُ والنارُ فى نَصْرٍ من الشَّجرِ

فهؤلاء الناس قد طبع على قلوبهم الغدر والحسد ، وليس هناك ما يشغلهم سوى الغدر بالطغرائى ، فهذا الشعور كان شعوراً ملازماً للشاعر والذى زاد فى حدة هذا الإحساس هو بعده

عن وطنه كما ذكرنا فجعله ذلك يشعر بأنه غريب عن الناس مما اتاح لهم أن ينهشوا من لحمه فيواصل قائلاً :-

وأكثرُ الناس منُ يشقَى بصحبتِه *** ومصَطلِى النارِ لا يخلو من الشَّررِ
تشابهُ فى طباعِ البشَّرِ بينهمُ *** على اختلافِ من الأهواءِ والصُّوَرِ
يمضى السِّنانَ علىِ مقدارِ مُنتَّهِ *** فى الطعنِ والوخز أقصَى منه بالأبرِ
أن يضطهدنى من دونى فلا عجب *** هو الزمان يصيد الصغير بالنغرِ
تبارك الله عدلاً فى قضيته *** بحكمة راعَ طبياً صولةُ النَّمِرِ
فلا ترومَنَّ انصافاً وقد شَهِدَتْ *** مخالب الليثِ إن الظلَم فى الفِطرِ

فالإنسان بطبعه الشريد قد يحقد ويغدر ، ولكننا نجد الأمر قد تفاقم وتجاوز حه عند الطغرائى ، فلم يكتف باسناد الغدر للإنسان فقط ، بل يرى أن الدهر – أيضاً – يغدر به ، بل أن الوفاء – يغدر به ولا شك أن المخلص من كل هذا هو " الله " –جلا جلاله–العدل المنقد له من كل هذه الهموم.

ولعل الحسد سبب يؤدى إلى قلة الأصدقاء ، ولا يحسد الناس إلا المرء الفعَّال ، ولاُ يكسر إلا الغصن المثمر ، والعود لولا طيبه لم يحرق وإذ شكا الشعراء من الأصدقاء ، فالشكوى تكون أكثر ألماً إذا جاءت من الأقارب وكأنهم استندوا على قول العامة : " الأقارب عقارب " ، إلا إن الطغرائى يقرر بحكمته وراجحة عقلة إلا أن هذا ليس شرطاً فقد تجد من هو دونك ينصر لك أكثر من الأهل فيواصل القول :-

قد يُحْرمُ المرءُ نصراً من أقاربهِ *** حتَّى من السمعِ فيما نابَ والبَصرِ
ويرزقُ النصرَ ممن لا يُناسِبُهُ *** كما يؤيَّدُ أزرُ القوسِ بالَوتَرِ

والمرارة البلوعة لا تأتى إلا من الأصدقاء الخائنين لذلك نجده يحذر ممن يظهر الحب والأخوة ويضمر الشرر والكره والحسد فيقول مواصلاً :-

ولا يغَّرنْكَ نَـورُ راقَ منظـرُهُ *** إذا تفَّتقَ عن مُـرٍّ من الثَّمَرِ

قد يُدرِكُ الغايةَ القُصْوَى على مَهَلٍ *** أخو الهوينا وقد ينُّبت ذو الُخضُرِ

وتطهر الحكمة مرة ثانية واضحة وجلية فى شعره إذ تعد الحكمة مطية يتكأ عليها الطغرائى للتنفيث عن همه وحزنه فتظهر وكأنها مخدر يخدر به ذاته ، يحثها على الصبر ، ومن ثم يدفع نفسه إلى عدم اليأس والتحكم بالرأى والاتعاظ بالآخرين وعدم الوقوف أمام تيار الدهر وحيداً ، حتى لا يؤخذ ويضيع ويحث نفسه قبل غيره على الرضا بما قسمه الدهر له بخيره وشره :-

فاقْنَعْ بميسورِ ما جادَ الزمـانُ بـه *** وطالماَ رضىَ المكفوفُ بالعَورَ

وربمـا كان فضلُ المـرءِ متلَفـَةً *** وإنمـا تلـفُ الأصــدافِ بالُّدرَرِ

والمرءُ يحسبُ ما يأتيـهِ من حَسَنٍ *** منه وينُسبُ ما يجنى إلى الَقدَرِ

رُزْنَا الأمـورَ فلم نعـرفْ حقائِقها *** من بعد فكرٍ فصار الُخْبُر كالَخَبرِ

فارشْح بخـيرٍ وإن أعيتْكَ مقدرةُ *** فالغُصنُ يُحْطَبُ إن لم يعطِ بالثَّمرِ

والعيشُ كالماء قد يصفو لشارِبِهِ *** حيناً ويُشـربُ أحياناً علـى كَدَرِ

حُمْنـا عليـهِ فلما حــانَ مورُدِنا *** أقامنا الخوفُ بين الوِرْدِ والَّصدَرِ[1]

ونلاحظ فى المقطع الأخير أن نفس الطغرائى لم تكن لتهدأ فهى تحتاج لمنهج " السعى إلى المعالى " ، يعقلية مندفعة ، تسحب إلينا نسيماً بدوياً إسلامياً وبشاعريه فائقة ، انسحب أثرها

[1] ديوان الطغرائى ، ص ١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩.

على العبارات ، فجاءت أنيقة عالية قوية ذات إيحاءات كبيرة ، وإشعاع متعدد ، توحى بقوة نفس قائلها وأهليته لأن يكون طمُوحاً ، ليسعى إلى المناصب ومعالى الأمور ، بل أنها ترسم صاحبها فى صورة الألمعى الذى حككته التجارب حتى جعلته خبيراً فى أمور الحياة والتصبر على البلاء.

والعبارات – فى مجملها – توحى بلهفة الشاعر وإحساسه العميق بالقلق الذى يساور نفسه من جراء حقد وحسد الناس فضلاً عن تململ النفس واضطرابها ومن ناحية أخرى هى ترسم ظلاً لعالم كان الشاعر يفتقده فى عالم الواقع المعاش بين الناس، إذ كان يبحث عن الوفاء الحق أو الصديق الصدوق فلا يجده وحين يجد الشاعر نفسه فى وسط هذه الشريحة الاجتماعية التى تستمرئ الخيانة والغدر فإنه – لا شك – يشعر باحتواءهم وبالغربة الاجتماعية بينهم ، ولا يكون أمام مرهفى الحس إلا أن يلجأوا إلى الخيال والحلم ، يحققون فيهما ما يفتقدون فى عالم الواقع ! لكأنهما المدينة التى يتداوى على أعتباها المكروبون أو هو العالم السحرى الذى يُخّلص النفوس من بعض آرزائها.

هذا النكران وهذا الجحود من قبل الناس جعل الطغرائى يصرخ ويصرخ بصوت حزين ، لينفث من قلب جريح يعانى القسوة والعذر ، إنه يرتاب من جميع الناس فى عصره فلا يثق بأحد منهم فلم يعد هناك حل وفى يرق لسوء حاله فيعبر عن سخطه على الأيام واغترابه عن الناس فى مجتمعه فيقول (الوافى):-

أرى الأيامَ تُمعُن فى عنادى *** وُتْنحِى بالملمَّاتِ الصعابِ
فـلا مولّـى يُصيُح إلى نِدائى *** ولا خِلَّ يَرِقُّ لسوءِ ما بى[1]

[1] ديوان الطغرائى ، ص ١٠١.

والإغتراب وما يصحبه من هم وغم ، ليس فى البعد عن الوطن والأهل وإنما فى التفرد وعدم وجود النظير من الناس لأنه لا يجد من يشبهه فى علمه وأخلاقه لذا فهو شاعر ، فهو غريب وحيد كئيب ، فالأحساس بالغربة جاء من عدم الإنسجام مع من حوله ولما لا ؟ وهم لا يعرفون له قدراً فيقول فى قصيدة مدحية يمدح فيها معين الملك [الطويل] :-

أترضى لمثلى أن يعيشَ مطَرَّحاً *** لدى معشرٍ لا يَعرِفوَن لهَ قْدرَا
قلوبُهُم من جهلِهْم فى أكِنَّةٍ *** وآذانُهم منَ غّيهْم مُلِئَتْ وَقْرَا
ولوَ عَرفُوا مقدارَ فضلى ألِفْتُهْم *** ولم ألتمسْ منهم ثَواباً ولا أجرَا
إذا سَمِعوا بالفضلِ يوماً تَّربَدتْ *** وجوُههُم سُوداً قسائِمها غُبْرَا
يُغالونَ بى عن غير علم وإنَّما *** يَرونُ مقامى بين أظُهرِهْم فَخْرَا
يغالونَ بى عن غير علم وإنمَّا *** يَرونُ معامى بينَ أظُهرِهْم فَحْرَا
وما أنا إلا كالكريمةِ كُلَّما *** رأتْ كُفْأَها فى المجدِ أرخصتِ الَمْهرَا
فهل فيكَ أن تفتكنس من إسارِهم *** فانّىَ بينَ القومِ من جُمْلةِ الأسرى
تُمُّر الليالى لستُ أسمعُ عنَدهْم *** من الفضل نِظماً يونقُ السمعَ أو نثرا
وما ابتغى إلا الكرامةَ إنها *** سجَّيةُ نفسٍ مِرَّةٍ مُلِئتْ كِبْرا[1]

لقد اصبح أكثر الخلق تعاسة وشقاء وكآبة إنه يشعر بإنفصال حاد بينه وبين من حوله وباغتراب قاس عن جميع الناس لكثرة الخسة وعدم الوفاء تنكر الناس له فيقول (الطويل):-

مللت ثوائى بالعراق وملنى *** رفاقى وكانوا بالعراق طرابا
وفارقنى أهل الصفاء تبرما *** بشحط نوى شابوا عليه وشابا

[1] ديوانه ، ص١٥٠-١٥١.

إذا قلت إنى قد ظفرت بصاحب *** سكنت إليه ، خاننى وأرابا
أقلب عين لا أرى غير صاحب *** ظننت به الظن الجميل فخابا
وكيف ثوائى بالعراق وقد غداً *** علىّ بها روحُ النسيم عذابَا
يبنوا الغدر مهما فتش البحث عنهم *** أراك وميضاً خلباً وسرابا
متى مانبا دهر نبوا وتصرفوا *** على حالتيه جيئة وذهابا
معاشر لو طاب الثرى من بلادهم *** زكا عندهم غرس الجميل وطابا
مناكيد تأبى أن تجود لقاحهم *** بدر بكئٍ أو تشد عصابا
إذا استخبرا المرء التجارب عنهم *** أرته بهاماً رتغا وذئابا
إذا كنت عند الحادثات وقد عرت *** مجنا لهم كانوا قنا وحرابا
أفارقهم لا آسفا لفراقهم *** ولا مؤثراً نحو العراق إياباً[1]

فهناك إحساس بوجود هوة تفصله عن من حوله فخلق فى داخله إحساساً بالغربة لا يمكن أن يمحى لأن من حوله أمعنوا فى ظلمه فأصبح مضطهداً وماله من ناصر يقول (الكامل :-

أشكو وما لشكيتى من سامع *** وأصبح مضطهداً ومالى جائر
قد كادت الأيام تنقص شرطها *** فى الفضل لولا أنهن غوادر
كانت تقاتلنى ومالى ناصر *** واليوم تقتلنى ومالى ثائر
فلئن جننت فلا عجيب أنه *** قد جن هذا المنجنون الدائر[2]

لقد قابله من حوله بكل نكران وجحود وأمعنوا فى الإساءة إليه والنهش فى لحمة بشكل آلمه من الفقر حينا والجحود حينا آخر واليأس من الناس ومن نفاقهم ، هذه الهزيمة النفسية المريرة

[1] ديوانه ، ص ٦٩- ٧٠-٧١.
[2] ديوانه ، ص ١٩٣.

التى لقيها الشاعر ، ووقوفه وجهاً لوجه أمام ما لايرضى ، جعله يصيح بعمق إلى هواتف نفسه باكياً متأوهاً فيقول (البسيط):-

ياشامتاً لزمان قد تنكر لى *** فيم الشماته إن زلت بى القدم
الوجه أزهر لم يعرض له كلف *** والعرض أملس لم يحلم له أدم
والمال أتلفه حينا وأخلفه *** فما على فوته حزن ولا ندم
أبر علمى على عم الألى سلفوا *** لولا فضيلة لسبق حازها القدم
والجهل للنفس رق وهى إن ظفرت *** بالعتق فالناس والدنيا لها خدم
عرفت ظاهر أيامى وباطنها *** فلا ابالى بما شادوا وما هدموا
لم يبق لى أرب فى العيش أطلبة *** قد استوى عندى الوجدان والعدم
ما ساءنى نقص جهال تنقصنى *** سيان عندى أن بأسوا وأن كلموا
لا بون بين الرضا والسخط عندهم *** فلا تبال بما شادوا وما هدموا
هل نكبتى رفعتهم فوق قدرهم *** فيستوى فى مساعينا بنا قدم
لا تشمتن الأعادى صدمة وقعت *** لى بغته ولصرف الدهر مصطدم
فانما سطوة السلطان ليس لها *** عاروإن نيل عرض أو أريق دم[1]

إن تعاقب الإحفاقات والإحباطات تؤدى بالإنسان إلى اعتزال كل شئ ، فالزمان كله بؤس وشقاء ، والناس ليس فيهم فاضل ولا شريف ولا كريم ، ووجود الخل الوفى أمر مستحيل ، والشاعر لا يملك إلا علمه وأدبه الذى أتعباه ، لقد انفصل الشاعر عن الزمان ، استوى عنده الفرح والترح ، فهانت عليه الدنيا ، وشعر أن كل شئ فيها وهم من الأوهام ، لا يعدو أن يكون رسماً على التراب

[1] ديوانه ، ٣٤١-٣٤٢-٣٤٣.

تذروه الرياح ، فيخاطبنا وهو يتمذق من الداخل ، فهذه الأبيات مشحونه بالمشاعر المختلفة ، متأججة بالعواطف المحتدمة ، تمثل عدة تجارب من تجارب الشاعر ، منها تجربة الإحساس بالفقد والغربة ، وتنامى الشعور بالإخفاق والخيبة وغدر الناس وشماتة الحساد.

يستوقفنا الاستفهام فى قوله : (هل نكبتى رفعتهم ...)

مما يضفى على النص جوا من الحزن والألم ، يزاوج فيه الشاعر بين التحسر على الماضى ، وبين مرارة الإخفاق فى الحاضر الذى انعكس على الحساد وشماتتهم فى الشاعر مما يعكس صدى غزية متمكنة ، لذا نراه يلجأ لمخاطبة نفسه أحياناً ، فينزع منها صورة من ذاته . يتمثلها أمامه ، ويمضى بيثها شكواه وخواطره ناقما على دهره ، الذى لم ير فيه إلا العسر والإهمال والتعرض لضربات وطعنات الحساد الشامتين الكارهين له.

المصادر والمراجع

١- الشوادفى علام : الطغرائى إحساس بالتفرد ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، العدد ٢٢ .

٢- سميرة سلامى : الاغتراب فى الشعر العباسى القرن الرابع الهجرى .

٣- محمد التونجى : حول الأدب فى العصر السلجوقى ، مكتبة قورنيا ، ص.ب ٩٥٥ ، بنغازى ، شارع عمر المختار .

٤- محمد ذكى العشماوى : قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية ، (د ،ط) ، ١٩٩٨ .

٥- مها سعيد حميد : وزير الموصل مؤيد الدين الطغرائى ط١ .

٦- عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة،مكتبة الأنجلو المصرية، ط١.

٧- علـــى جـــواد الطـــاهر: الطغرائـــى ، حياتـــه – ســـفره – لاميتـــه ، منـــشورات مكتبة النهضة ببغداد ، ط١ .

٨- ديـــوان الطغرائـــى – تحقيـــق علـــى جـــواد الطـــاهر ،يحـــي الجـــابوري ،دار القلم .ط١.